العرب
الأربعاء 2021/09/08
السنة 44 العدد 12173

أوروبا ترفض أنانية جو بايدن السياسية

هل يحتاج الرئيس الأميركي إلى أوروبا وفق أولوياته: كوفيد، المناخ، الصين

لم يعد القادة في أوروبا يكتمون غيضهم أو غضبهم من إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن، وهو أمر قد يوسع الهوة بين الإدارة الأميركية والتكتل الأوروبي، لكن مقابل ذلك هل بمقدور أوروبا الاعتماد على نفسها في السياسة الخارجية من دون بايدن، وأيضا هل بمقدور بايدن التخلي عن حاجته إلى الاتحاد الأوروبي؟

تحذير مبطن

لندن – يمكن لنا أن نجمع حزمة من العلامات السيئة التي باتت تؤشر على العلاقة الأوروبية بإدارة الرئيس الأميركي جو بايدن، فالاستياء من الانسحاب الأميركي من أفغانستان لم يكن إلا فرصة للتعبير عن هواجس أوروبا في العلاقات التي تجمعها بإدارة البيت الأبيض من ثمانية أشهر.

وتبدو تصريحات الاستياء العارمة من المسؤولين الأوروبيين حيال الخذلان الذي تسبب به بايدن لحلف الناتو في أفغانستان، هي أقل بكثير مما يهدد هذه العلاقة، مع إحساس أوروبي جماعي بأن بايدن لا يرى في استراتيجيته أكثر من الشأن الداخلي الأميركي، وحاجته إلى أوروبا ستكون في استكمال السيناريوهات السياسية المعدة للتعامل مع الصين وروسيا.

برونو لومير

يجب أن تكون أوروبا قوة عظمى إلى جانب الولايات المتحدة

أنيغريت كرامب كارنباور

لا بد أن تصبح أوروبا أكثر استقلالية في السياسة الخارجية

أدوارد لويس

الأوربيون يرون استمرارية بين ترامب وبايدن

ولا يبدو أن أوروبا ستنتظر هذا الموقف، قبل أن تتفق على استقلالية تفرز سياسة الاتحاد غير الخاضعة بشكل مطلق لسياسة بايدن التي يصفها المحللون الأوروبيون بـ"الأنانية". لكن السؤال هل بإمكانهم فعل ذلك؟

أوروبا أقوى

دعا وزير الاقتصاد الفرنسي برونو لومير هذا الأسبوع إلى "أوروبا أقوى" قادرة على التمتع بـ"استقلالها السياسي" وتكون ذات "سيادة على الصعيد التكنولوجي" بدل الاكتفاء بلعب دور "السوق المشتركة".

وعبر لومير عن رغبة بلاده في بذل الجهود من أجل أن تحتل أوروبا مكانتها كقوة عظمى في العالم إلى جانب الولايات المتحدة والصين، وتدافع عن مجموعة من القيم.

وتعمل الدول الأعضاء بالاتحاد الأوروبي على بوصلة استراتيجية جديدة، أي مبادئ دفاع مشترك من شأنها مساعدة التكتل الأوروبي على العمل بشكل منسق خلال الأزمات، وفي ظل 27 جيشا وحكومة، غالبا ما تعيق الحاجة لإجماع سريع في الآراء بين الدول الأعضاء.

وتتفق وزيرة الدفاع الألمانية أنيغريت كرامب كارنباور مع دعوة وزير الاقتصاد الفرنسي بقولها إن الاتحاد الأوروبي كان معتمدا على الأميركيين، طوال أزمة أفغانستان، ولا بد أن يصبح التكتل الأوروبي فاعلا بصورة أكثر استقلالية في ما يتعلق بالسياسة الخارجية في الوقت الذي تنسحب فيه الولايات المتحدة على ما يبدو من المسرح العالمي.

وشددت كرامب كارنباور على أن الاستقلال الأوروبي الأكبر لا يعني أن يحل محل الناتو أو الروابط الوثيقة مع الولايات المتحدة، ولكن يعني جعل الغرب أقوى بشكل عام.

إلا أن الحقيقة الواقعية بشأن أفغانستان هي أن الأوروبيين بالكاد قاوموا قرار الأميركيين بالانسحاب، لأنهم لا يستطيعون تحمل ذلك لأنهم يفتقرون إلى قدراتهم الخاصة.

بايدن يذكر بترامب

تمتلك دعوة وزيرة الدفاع الألمانية، إلى أن تصبح أوروبا أقوى من أجل جعل التحالف الغربي وبشكل عام على قدم المساواة مع الولايات المتحدة. أكثر من كونها مجرد دعوة، بقدر تحولها إلى استراتيجية يمكن وضع آليتها في المختبرات السياسية الأوروبية، وليس في مختبر الناتو المشترك مع الولايات المتحدة.

وكل الذي يحصل اليوم مع إدارة بايدن يذكرهم بدونالد ترامب. على مستوى الأسلوب، الفرق بين بايدن وترامب بالكاد يكون كبيرا. بايدن يتفاعل، فهو يمزح مع نظرائه الأوروبيين وعادة ما يقول الأشياء الصحيحة اللائقة. وذلك ما لم يفعله ترامب من قبل، هل تتذكرون كيف أزال قشرة الشعر من على بدلة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، في بادرة غير دبلوماسية، وهناك ما هو أشد عندما يتعلق الأمر بالمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل.

لكن أن يكون محبوبا لا يعني أن يكون حليفا جيدا وفق الكاتب إدوارد لوس في صحيفة فاينشيال تايمز. في هذا الصدد، بدأ الأوروبيون يرون استمرارية بين بايدن وترامب.

الأمر الأكثر لفتا للنظر هو أن بايدن لا يعطي لرأيهم أهمية كبيرة، حتى لو بدا أنه يستمع. في بعض الأحيان، يمكن أن يكون محقا في ذلك. شكا كثير من القادة الأوروبيين بمرارة من الطريقة التي سحب بها بايدن القوات العسكرية الأميركية من أفغانستان.

لقد سبق وأن صدم بايدن أوروبا قبل صدمة أفغانستان. في مايو الماضي أعلن أنه سيطلب من منظمة التجارة العالمية تعليق براءات اختراع اللقاحات. كانت هذه الخطوة جريئة وغير متوقعة، لكنها ولدت ميتة، فاجأت الأوروبيين وقتلوها.

ويرى لوس أن بايدن كان يحاول إرضاء اليسار الأميركي وإعطاء الانطباع بأنه يحمل على شركات الأدوية الكبرى.

لكن السؤال الذي سيبقى ماثلا: عما إذا كان بايدن يعتقد أنه بحاجة إلى أوروبا، وفق أولوياته الثلاث المعلنة وهي كوفيد، المناخ والصين.

المهاجرون الأفغان في تركيا يعانون تزايد النقمة ضدهم

يعاني اللاجئون الأفغان الذين فروا إلى تركيا هربا من بطش حركة طالبان بطشا من نوع آخر، حيث يجد هؤلاء أنفسهم في حالة رعب مستمرة من ترحيلهم أو التعرض للعنصرية والرفض من قبل الأتراك.

إسطنبول – كان غوث الدين مبارز يقضي أساسا ليالية وهو قلق من احتمال إعادته إلى أفغانستان، حين بدأ مشجعون أتراك في ملعب كرة قدم ترديد هتافات تدعو المهاجرين إلى العودة إلى بلادهم.

الشاب البالغ من العمر 20 عاما شعر باستقبال جيد عند وصوله إلى تركيا قبل عامين بعدما فر من مدينة قندوز بشمال شرق أفغانستان في ختام رحلة محفوفة بالمخاطر استغرقت ثلاثة أسابيع عبر باكستان وإيران.

تمكن من إيجاد عمل سريعا في مطعم للوجبات السريعة في إسطنبول، وكان يرسل نصف راتبه إلى أهله في أفغانستان لمساعدتهم في مواجهة الفقر والحرب في بلاده التي كانت تبدو دون نهاية.

لكن كل شيء تغير حين بدأت الشرطة جمع الأفغان ووضعهم في مراكز احتجاز تمهيدا لطردهم، وهو ردّ من السلطات على الغضب المتزايد لدى الشعب حيال المهاجرين، والذي أججته أزمة اقتصادية أضرت بقدرته الشرائية.

يقول مبارز وهو يقدم الطعام للزبائن في المطعم "حين وصلت إلى تركيا، كان الأمر سهلا".

وأضاف "الأمر أكثر صعوبة بكثير اليوم. أينما ذهبنا، نعيش في الخوف، نخشى أن يتم توقيفنا وإعادتنا إلى أفغانستان نظرا لوضعنا غير القانوني".

ومنذ العام 2016، تؤوي تركيا أحد أكبر تجمعات المهاجرين في العالم إثر اتفاق أبرمته مع الاتحاد الأوروبي خلال أزمة اللاجئين الوافدين من سوريا خصوصا في 2015–2016.

أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أن بلاده التي تعد 84 مليون نسمة باتت تستقبل حاليا خمسة ملايين مهاجر ولاجئ بينهم حوالي 3.7 مليون من سوريا وما يصل إلى 420 ألف أفغاني.

لكن عدم الاستقرار الاقتصادي الذي فاقمه وباء كوفيد – 19 أثار ارتيابا من السلطات والشعب حيالهم، إلى مستويات قلما سجلت سابقا.

بحسب دراسة أعدها معهد استطلاعات الرأي "أكسوي" فإن 85 في المئة من الأشخاص الذين استطلعت آراؤهم "قلقون" من وصول أفغان، منذ عودة طالبان إلى السلطة بعد 20 عاما من طرد الحركة من الحكم.

سبق أن حذر الرئيس التركي الدول الغربية، القلقة هي أيضا من موجة هجرة جديدة محتملة، من أن تركيا لا تعتزم أن تصبح "مخزنا للاجئين".

وظهرت مشاعر الغضب الشعبي إلى العلن وعلى شاشات التلفزة الوطنية في الآونة الأخيرة، حين بدأ الآلاف من مشجعي كرة القدم ترديد "لا نريد لاجئين في بلادنا" خلال مباراة ضمن التصفيات لكأس العالم.

مبارز لديه أيضا أسباب وجيهة لكي يقلق. فمكتب محافظ إسطنبول يعلن عن توقيفات شبه يومية لأفغان ومهاجرين آخرين في أوضاع غير قانونية ووضعهم في مراكز اعتقال.

كما أن حزب المعارضة "حزب الشعب الجمهوري" المناهض بشدة للهجرة والذي يسيطر على مدن مثل إسطنبول وأنقرة، علق أيضا لافتات على بعض المباني تظهر زعيمه كمال كيلتشدار أوغلو مع عبارة "الحدود هي شرفنا".

ويشعر حبيب أوزبك وهو صاحب محل صغير بهذا الضغط، رغم أنه أصبح مواطنا تركيا في 1993. يقول "سواء كنا في حافلة أو في الشارع، الناس يدلون علينا بالأصابع قائلين الأفغان هنا".

ويؤكد مبارز ذلك قائلا إنه يسمع الأمر نفسه. وقال "ينتابني أرق في الليل وأنا أفكر بما سأفعله إذا تم توقيفي ثم طردي".

وأضاف "لقد أخذت طالبان كل ما كنا نملكه، نحن بائسون".

هذا الخوف دفع بالعديد من اللاجئين الأفغان إلى البقاء بعيدا عن الأنظار قدر الإمكان. الأرض التي كان بعضهم يلتقي فيها للعب الكريكت ضد جيرانهم الباكستانيين أيام الأحد، بقيت غير مستخدمة منذ أشهر.

ويدافع أحد نواب رئيس حزب الشعب الجمهوري-فرع إسطنبول برقاي دوزجه عن نهج حزبه وخطابه المناهض للمهاجرين مع اقتراب الانتخابات العامة المرتقبة في يونيو 2023 على أبعد تقدير.

وقال "لا نقول إن هؤلاء الأشخاص يجب أن يسلموا إلى طالبان" لكن "المسألة هي معرفة ما يمكننا تقديمه (للوافدين الجدد) الذين يصلون". وأضاف "تركيا ليست غيتو للمهاجرين".

وجدت شعارات حملة حزب الشعب الجمهوري أصداء لدى الأتراك الذين شهدوا الأسعار ترتفع بشكل كبير ومدخراتهم تذوب مع انهيار العملة وارتفاع التضخم.

وقال محمد أمين وهو أحد سكان إسطنبول بشأن المهاجرين إن "الإيجارات ترتفع بشكل كبير بسببهم".

وأضاف "هم يتقاسمون شقة بعدد عشرة أو 15 شخصا، لا أريد وجودهم".

وتقول المحللة دنيز سينول سرت من جامعة أوزيجين في إسطنبول إن عدائية الشعب هذه سترغم أردوغان الذي حض الأتراك على إبداء "تعاطف" حيال الذين يحاولون إيجاد ملجأ، على أن يبدي تصلبا.

وأضافت "طالما هناك منافسة على المداخيل، فإن هذا الحقد تجاه الأجانب سيستمر".

ورغم كل شيء، فإن البعض يعبر عن صدمة إزاء هذا التحول الكبير في مدينة معروفة منذ قرون بأنها ملتقى ثقافي.

وقال التاجر علاءالدين كافجا "كنت أوظف أفغانيا قبل أن يفر إلى ألمانيا"، مضيفا "كنت أترك له المتجر وأثق به بشكل كامل".

> الخوف دفع بالعديد من اللاجئين الأفغان في تركيا إلى البقاء بعيدا عن الأنظار

حيرة في بلاد العم أردوغان